سورة الممتحنة .

1 - { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء } الآية .

أخبرنا عبد الواحد المليحي حدثنا أحمد بن عبد ا النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار أخبرني الحسن بن محمد أنه سمع عبد ا بن أبي رافع يقول سمعت عليا Bه يقول : [بعثني رسول ا A أنا والزبير والمقداد فقال : انطلقوا حتى تأتوا (روضة خاخ) فإن بها ظعينة عها كتاب فخذوه منها قال : فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا : أخرجي الكتاب فقالت : ما معي كتاب فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب قال : فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول ا A فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول ا A فقال : يا حاطب ما هذا ؟ قال : يا رسول ا لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قريش - يقول كنت حليفا ولم أكن من أنفسها - وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت - إذ فاتني ذلك من النسب فيهم - أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فقال رسول ا A : أما إنه قد صدقكم فقال عمر : يا رسول ا دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال : إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل ا اطلع على أهل بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل ا تعالى هذه السورة : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة } إلى قوله : { سواء السبيل }] .

قال المفسرون : نزلت الآية في حاطب بن أبي بلتعة كما جاء في الحديث وذلك أن سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة ورسول ا A يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول ا A أمسلمة جئت ؟ قالت : لا قال أمهاجرة جئت ؟ قالت : لا قال : فما جاء بك قالت : كنتم الأصل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها : وأين أنت من شبان مكة ؟ وكانت مغنية نائحة قالت : ما طلب مني شيء / بعد وقعة بدر فحث رسول ا A بني عبد المطلب وبني المطلب فأعطوها نفقة وكسوها وحملوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى فكتب معها إلى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة وكتب في الكتاب : من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة إن رسول ا A يريدكم فخذوا حذركم .

فخرجت سارة ونزل جبريل فأخبر النبي A بما فعل فبعث رسول ا A عليا وعمارا والزبير

وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد فرسانا فقال لهم : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فخذوا منها وخلوا سبيلها وإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها .

قال : فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول ا A فقالوا لها : أين الكتاب ؟ فحلفت با ما معها كتاب فبحثوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي Bه : وا ما كذبنا ولا كذب رسول ا A وسل سيفه فقال : أخرجي الكتاب وإلا لأجردنك ولأضربن عنقك فلما رأت الجد أخرجته من ذؤابتها قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها فرجعوا بالكتاب إلى رسول ا A .

فأرسل رسول ا A إلى حاطب فأتاه فقال : هل تعرف الكتاب ؟ قال : نعم قال : فما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا رسول ا وا ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت أن ا ينزل بهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول ا A وعذره .

فقام عمر بن الخطاب فقال : دعني يا رسول ا أضرب عنق هذا المنافق .

فقال رسول ا A : وما يدريك يا عمر لعل ا قد اطلع على أهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ؟ فأنزل ا D في شأن حاطب : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء } .

{ تلقون إليهم بالمودة } قيل : أي المودة والباء زائدة كقوله : { ومن يرد فيه بإلحاد بظلم } (الحج - 25) وقال الزجاج : معناه تلقون إليهم أخبار النبي A وسره بالمودة التي بينكم وبينهم { وقد كفروا } الواو للحال أي : وحالهم أنهم كفروا { بما جاءكم من الحق } يعني القرآن { يخرجون الرسول وإياكم } من مكة { أن تؤمنوا } أي لأن آمنتم كأنه قال : يفعلون ذلك لإيمانكم { با ربكم إن كنتم خرجتم } هذا شرط جوابه متقدم وهو قوله : { لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا با ربكم إن كنتم خرجتم } { جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة } قال مقاتل : بالنصيحة { وأنا أعلم بما أخفيتم } من المودة للكفار { وما أعلنتم } أظهرتم بألسنتكم { ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل } أخطأ طريق الهدى